

# الجبرية

القسم الثاني : غلبوا قدرة الله وهم الجبرية الذين لم يجعلوا للعبد أية قدرة، بل جعلوه مجبورا على حركاته وعلى أفعاله، وليس له أية أفعال، ولا تنسب إليه أية أقوال، بل إن حركاته بمنزلة حركة الشجر التي تحركها الرياح، أو حركة المرتعش الذي ترتعش يداه، ولا يقدر على أن يمسكهما، فجعلوه محيرا على فعله، ولم يجعلوا له أي اختيار في ذلك، ويقول قائلهم: ألقاه في البحر مكتوفاً وقال له إياك أن تقتل بالماء!! ويقول آخر: وضعوا اللحم للزيارة على ذروتي عدن ثم لاموا الزيارة إذ أطلقوا لهن الرسن لو أرادوا صيانتي ستروا وجهك الحسن فكانهم يقولون: إن الله هو الذي أوقع العبد في المعصية، وهو الذي حرك أفعاله، فإذا ذنب فيه له يكون ظلماً ، فليس للعبد أي اختيار!! ولا شك أنهم مخطئون. ولا يأس أن أغلق على أقوالهم وإن كان الكلام يستدعي طولاً، فاقول: إن هؤلاء متناقضون؛ ذلك لأنهم لا يستمرون على فعلهم، بل إنهم لا يعتمدون عليه في كل الأحوال، ولا يحتاجون بالقدر في كل حال من الأحوال. ونقول لهؤلاء: إذا كان الحال كذلك فلا تطلبوا المعيشة ما دام أن الله قدر لكم رزقا، فإنه سيأتيكم به، اجلسوا في بيوتكم ولا تتكلسوا، ولا تحرثوا، ولا تزرعوا، ولا تتحرروا، ولا تتعلموا، أي عمل! بل لا تأكلوا، ولا تشربوا، ولا غير ذلك، فإذا كان الله قد قدر لكم ذلك، فإنه سيأتيكم وبصل إليكم! فلو قلنا ذلك لهم لما امتنعوا، فدل ذلك على أنهم متناقضون. مما دام أنك تقدر، وأنك تقلب في أمور الدنيا، فلماذا لا يكون لك القدرة على الأعمال الصالحة، مثل العبادات والطاعات والحسنات والقربات ونحوها؟! كذلك أيضا نقول لهم: إن هذا كله بقضاء وقدر، ولكن لكم أفعال تستطيعون بها أن تنسب إليكم، فقد روى أن عمر -رضي الله عنه- رفع إليه سارق، فلما أراد أن يقطع يده قال السارق: يا أمير المؤمنين، هذا قدر، فالله قدر على هذه السرقة. فقال عمر -رضي الله عنه- أنت سرقت بقدر الله، ونحن نقطع يدك بقدر الله. فإذا كان هذا بقدر، فهذا أيضا بقدر! كذلك ذكر ذكر أن رجلاً كان يقود أعمى ضربه بعصا بقوة، فقال: هذا أيضا بقدر، فإذا كان تعذرك بي وتعتمدك بي بقدر، فأنا أضربك بقضاء وقدر! ونقول لهؤلاء أيضا: إن العقوبة التي ربها الله تعالى على هذه الأفعال، لا شك أنكم تستحقونها؛ لأن الله رتب على من فعل كذا عقوبة كذا، فالعقوبة على أفعالكم بقضاء وقدر.